مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

معسكر أشرف في العراق: تحولات الدور والتوظيف الاستراتيجي

د. رشا العزاوي

باحث أول بمركز الخليج للأبحاث

تقديم

يمثل معسكر أشرف أكثر من مجرد مساحة جغرافية في شرق العراق؛ فهو نقطة تقاطع نادرة بين التاريخ العسكري والسياسة الإقليمية وإعادة تشكيل مفهوم السيادة بعد العام ٢٠٠٣. فالموقع لم يكن قاعدة عسكرية عابرة ولا مخيماً لجوء مؤقتاً، بل عقدة سياسية–أمنية عكست تحولات موازين القوة منذ الحرب العراقية–الإيرانية وحتى صعود الفاعلين المسلحين بعد سقوط بغداد. لا تُفهم أهميته من خلال بنيته العمرانية فقط، بل من خلال الجغرافيا التي تحتضنه؛ إذ يقع قرب قضاء الخالص شمال شرق بعقوبة، على مسافة تقارب ٨٠ كيلومتراً من الحدود الإيرانية، ضمن بيئة صحراوية مفتوحة تسمح بالحركة والمناورة وتسهّل الإسناد اللوجستي.

اختير الموقع بعناية داخل ممر بري تاريخي ظل لعقود شريان عبور عسكري وتجاري، يربط الحدود الإيرانية بشرق بغداد وصلاح الدين، ويجعل من محافظة ديالى بوابة انتقال بشرية ولوجستية نحو الشمال والغرب العراقي. هذه الجغرافيا الحساسة هي التي منحت المعسكر قيمته الاستراتيجية، وحوّلته من موقع ثابت إلى عنصر فاعل في معادلات الردع والانتشار. فكل مرحلة سياسية مرّ بها العراق أعادت تعريف وظيفة المكان دون أن تغيّر موقعه؛ وكأن الجغرافيا بقيت ثابتة فيما تبدّلت الأدوار واللاعبون. ومن هنا تنبع أهمية معسكر أشرف ليس كقاعدة عسكرية فحسب، بل مرآة لتحول البيئة الأمنية في العراق والمنطقة بأكملها.

التأسيس والتوظيف ما قبل ٢٠٠٣ وما بعدها

تأسس معسكر أشرف في ثمانينيات القرن العشرين بوصفه قاعدة استراتيجية متقدمة لمنظمة مجاهدي خلق الإيرانية المعارضة للنظام الذي تأسس بعد ثورة ١٩٧٩، وذلك في محافظة ديالى شمال شرق بغداد، ضمن حسابات جيوسياسية دقيقة اعتمدها نظام صدام حسين في سياق الحرب العراقية–الإيرانية. فقد قررت بغداد آنذاك توظيف المعارضة الإيرانية المسلحة ضمن إطار حرب بالوكالة، ليغدو المعسكر مركزاً عسكرياً واستخبارياً وسياسياً يتيح إدارة عمليات غير مباشرة ضد إيران بعيداً عن خطوط الاشتباك التقليدية. هذا الدور لم يكن منفصلاً عن طبيعة المنظمة نفسها؛ إذ تُعد مجاهدي خلق، التي تأسست عام ١٩٦٥ على يد نخبة من الطلاب الإسلاميين ذوي النزعة اليسارية، كياناً ثورياً مزج بين الإسلام السياسي والماركسية ونقد الإمبريالية، وسعى إلى إسقاط نظام الشاه وإقامة نظام إسلامي-ديمقراطي. بعد الثورة الإسلامية ١٩٧٩ دخلت المنظمة في صدام دموي مع الجمهورية الإسلامية إثر رفضها مبدأ ولاية الفقيه، ونفذت عمليات واغتيالات ضد مسؤولين إيرانيين قبل أن تنتقل قيادتها إلى العراق مطلع الثمانينيات وتؤسس "جيش التحرير الوطني الإيراني" انطلاقاً من معسكر أشرف، ما رسّخ صورتها في الوعي الإيراني كخصم عسكري مباشر متحالف مع بغداد.

مع سقوط نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣ سلّم نحو ٣٤٠٠ من سكان المعسكر أسلحتهم للقوات الأمريكية، وصُنّفوا أشخاصاً محميين، فتحوّل الموقع من قاعدة عسكرية إلى عقدة قانونية-سياسية تتقاطع فيها التزامات واشنطن مع ضغوط الحكومة العراقية الجديدة، التي اعتبرت وجود المنظمة إرثاً سيادياً معقّداً في ظل تنامي علاقتها بطهران. هنا بدأ التفكيك الفعلي للدور العسكري للمعسكر، لكن بنيته الجغرافية والعمرانية بقيت قائمة، ما جعله قابلاً لإعادة التوظيف لاحقاً. ابتداءً من ٢٠٠٩، وبعد انتقال المسؤولية الأمنية إلى بغداد بموجب اتفاقية SOFA، شهد الموقع اقتحامات وصدامات دامية أبرزها أحداث نيسان/أبريل ٢٠١١، قبل توقيع اتفاق في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١١ بين العراق والأمم المتحدة لنقل السكان إلى مخيم ليبرتي تمهيداً لإعادة توطينهم خارج البلاد. اكتمل إخلاء معسكر أشرف عملياً عام ٢٠١٣،

ثم انتهى الوجود الكامل للمنظمة في العراق في ٩ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٦ مع نقل آخر دفعة إلى ألبانيا، حيث استقروا في مجمّع «أشرف-٣» الذي أصبح مركز نشاطهم السياسي في المنفى.

عكس هذا المسار تحوّلاً تدريجياً من قاعدة معارضة إيرانية إلى موقع أُعيد دمجه ضمن بيئة أمنية عراقية أقرب إلى محور إيران بعد ٢٠١٤، عبر ثلاث مراحل تراكمية: تفكيك الوجود السابق تحت ضغط سياسي وأمني، فراغ أمني مؤقت، ثم استيعاب الموقع ضمن شبكة انتشار جديدة مع صعود الحشد الشعبي. وبهذا أصبح المعسكر نموذجاً لإعادة هندسة الجغرافيا الأمنية تبعاً لتغيّر موازين القوى الإقليمية، ومؤشراً على كيفية انتقال المواقع العسكرية من خدمة خصوم دولة ما إلى العمل ضمن فضاء نفوذها غير المباشر.

المليشيات وإعادة التموضع في معسكر اشرف

شهد معسكر أشرف تحولاً جوهرياً بعد العام ٢٠١٤، إذ انتقل من موقع ارتبط تاريخياً بالمعارضة الإيرانية إلى عقدة عملياتية داخل بيئة الانتشار العسكري شرق العراق، ضمن منظومة أوسع للفصائل المسلحة التي برزت في سياق الحرب ضد تنظيم داعش (٢٠١٤_٢٠١٧) ، ومع انتهاء وجود منظمة مجاهدي خلق وظهور فراغ أمني في محافظة ديالى، أصبح الموقع في نظر المخططين الإقليميين والفصائل العراقية الحليفة قاعدة محتملة لإعادة توظيف الجغرافيا العسكرية في العراق بما يعزز العمق الاستراتيجي الإيراني ؛ لذا تجاوزت الفلسفة الأمنية للمعسكر دوره العسكري المباشر ، ما جعل المعسكر جزءاً من شبكة انتشار غير مركزي، مشابهة للنموذج السوري حيث تُوزع القوة على عقد متعددة بدلاً من مركز واحد ضخم، بما يعزز المرونة العملياتية ويقلل التركيز المعرّض للاستهداف، هذه الخصائص جعلته اقرب الى مدينة عسكرية مغلقة وليس مجرد معسكر تقليدي وهو ما أكدته تقارير عسكرية أمريكية بعد العام ٢٠٠٣.

خلال مرحلة ما بعد ٢٠١٤، لعبت القيادات الميدانية العليا التي أدارت عمليات الفصائل ممثلة بنائب رئيس هيئة الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس، دوراً محورياً في إعادة هيكلة الانتشار العسكري في ديالى والمناطق المحيطة، حيث جرى دمج مواقع عسكرية قديمة، ومنها معسكر أشرف، ضمن شبكة انتشار لوجستي وعملياتي تهدف إلى تسهيل الحركة بين الجبهات وتعزيز القدرة على الاستجابة السريعة. وتمثّل الدور العملياتي لهذه القيادات في تنسيق العمليات الكبرى ضد داعش، وإدارة خطوط الإمداد والتخطيط بين العراق وسوريا، وتقديم الدعم اللوجستي والعسكري للفصائل الحليفة، ما جعل المعسكر جزءاً من منظومة انتشار شرق العراق وليس مركز قيادة منفصل، بل عقدة ضمن بنية عملياتية أوسع تعتمد على توزيع القوة عبر عدة نقاط جغرافية بدلاً من التركيز في قاعدة واحدة كبيرة، الأمر الذي منح الفصائل مرونة ميدانية وبنية تحتية جاهزة لإعادة الانتشار.

ضمن هذا الاطار تولت منظمة بدر بصفتها احد ابرز التشكيلات المنضوية ضمن هيئة الحشد الشعبي وصاحبة حضور تاريخي في ديالى ، إدارة النشاطات الميدانية شرق العراق، حيث قامت بالإشراف على عمليات التنظيم والتجميع وإعادة التدريب، في حين جاءت التوجيهات الاستراتيجية العامة ضمن إطار أوسع من التنسيق الإقليمي المرتبط بطهران ، هذا النموذج يسمح بالتحكم بالنتائج الاستراتيجية دون الحاجة إلى وجود رسمي مباشر على الأرض، ويخلق شبكة مرنة من العقد العسكرية واللوجستية القادرة على إعادة نشر المقاتلين بسرعة، مع الحفاظ على غطاء قانوني يظهرهم كجزء من المنظومة الأمنية العراقية الرسمية ؛ وقد تجلّى هذا التحول بصورة علنية في العام ٢٠٢١ عندما أُقيم داخل المعسكر عرض عسكري واسع للحشد الشعبي شمل دبابات روسية وراجمات صواريخ ومعدات ثقيلة، واعتُبر من أكبر استعراضات القوة للفصائل المسلحة في العراق ؛ أكد هذا الحدث أن الموقع لم يعد مجرد بقايا تاريخية لمرحلة سابقة، بل أصبح قاعدة عسكرية فعلية تُستخدم للنشاطات العسكرية والتجمعات

الكبيرة، بما يعكس إعادة توظيف الجغرافيا العسكرية للمكان ضمن منظومة أمنية جديدة.

من حيث طبيعة الأنشطة، اتخذ المعسكر وظائف متعددة؛ إذ استخدم كنقطة لوجستية لتجميع الوحدات قبل الانتشار وتخزين المعدات الثقيلة، إضافة إلى نشاطات تدريبية غير معلنة رسمياً شملت إعادة تنظيم الوحدات وإجراء تدريبات ميدانية للفصائل والعناصر متعددة الجنسيات ، وتركزت بعض برامج التدريب على إعادة تأهيل الخبرات القتالية السابقة، بما يشمل التكتيكات الحضرية، مناورات المجموعات الصغيرة، إدارة خطوط الإمداد، ومهارات الدعم اللوجستي والتأهب السريع للنقل إلى مناطق صراع أو لحماية المصالح الحيوية الإيرانية عند الضرورة.

أشرف كقاعدة خلفية للمليشيات الخارجية

لم يعد معسكر أشرف يُقرأ بوصفه موقعاً ذا إرث لاشكالية تاريخيّة تتداخل فيها العوامل السياسية والامنية فحسب، بل باعتباره نموذجاً معاصراً لما يمكن تسميته "القاعدة الخلفية غير المُعلنة" في بيئة الصراعات الإقليمية ، فالقواعد الخلفية لا تُعرَّف دائماً كمراكز تدريب رسمية أو مقرات عمليات صريحة ، أحياناً تكون فضاءات مغلقة تُحفظ فيها الخبرة القتالية، ويُصان فيها الاحتياطي البشري، وتُدار من خلالها جاهزية صامتة قابلة للاستدعاء عند الضرورة ، في هذا الإطار ، يبرز المعسكر كحلقة ضمن شبكة أوسع عابرة للحدود، تُدار بمنطق المرونة والتوزيع، لا بمنطق التمركز التقليدي.

تقوم فلسفة القاعدة الخلفية هنا على مفهوم العمق البشري؛ أي الاحتفاظ بعناصر ذات خبرة ميدانية متراكمة داخل بيئة آمنة نسبياً، دون إعلانها مركزاً عملياتياً مباشراً ، وقد برز في هذا السياق استيعاب عناصر متعددة الجنسيات ذات خلفيات قتالية مختلفة، شملت تشكيلات ارتبطت بمحور إيران، من بينها (حسب مصادر خاصة) المقاتلين المنسحبين من سوريا والمنتمين الى لواء فاطميون ولواء زينبيون وهما فصيلان مصنفان على قوائم العقوبات الأمريكية منذ العام ٢٠١٨ ، قاتلت الى جانب نظام بشار الأسد، ومن حيث البنية البشرية، يتكون لواء فاطميون أساساً من مقاتلين شيعة من قومية الهزارة جُنّدوا من اللاجئين الأفغان في إيران، ويقدّر عددهم في سوريا عند سقوط الأسد بين ٥,٠٠٠ و١٠,٠٠٠ مقاتل، وكانوا يشرفون على طرق إمداد حيوية للأسلحة والطائرات المسيّرة وأجزاء الصواريخ باتجاه حزب الله ، أما لواء زينبيون فيتألف من مقاتلين شيعة باكستانيين جرى تنظيمهم لحماية مرقد السيدة زينب ولدعم عمليات النظام السوري في اللاذقية وحلب ودمشق، ويتراوح عددهم بين ٢,٥٠٠ و٤,٠٠٠ مقاتل.
الى جانب اللوائين اعلاه توجد في معسكر اشرف بعض العناصر من ضباط ومراتب الجيش السوري السابق ، ممن امتلكوا خبرة في الحرب السورية ، الهدف في هذا التصور لا يتمثل بالضرورة في إطلاق عمليات هجومية من داخل الموقع، بل في الحفاظ على قابلية التعبئة السريعة، وضمان بقاء الموارد البشرية في حالة استعداد يمكن تفعيلها إذا ما تعرضت إيران أو حلفاؤها لتهديد مباشر أو غير مباشر، وكذلك كورقة ضغط مزدوجة من قبل ايران او حلفائها في العراق تجاه حكومة الرئيس احمد الشرع .

بهذا المعنى، يصبح المعسكر أشبه بمستودع خبرة قتالية إقليمي، تُدار حركته عبر منظومة فصائلية عراقية قريبة من إيران، ضمن توجيهات استراتيجية أوسع تتجاوز الإطار المحلي ، وهو نمط ينسجم مع نزعة طويلة لدى الحرس الثوري الايراني في بناء شبكات نفوذ غير متمركزة، تعتمد على شركاء محليين وتوزيع مراكز القوة جغرافياً، بما يوفر قدرة ردع غير مباشر ويؤمّن استمرارية الحضور حتى في ظل ضغوط مركبة من الولايات المتحدة أو إسرائيل ، فبدلاً من تركيز القوة في نقطة مكشوفة، يجري توزيعها على عقد متعددة، تظل قادرة على إعادة التموضع وفق تغير موازين التهديد.

تشير تقارير غربية (معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى بتاريخ ٢٩ يناير ٢٠٢٥)، إلى أن مجموعات من آلاف المقاتلين الشيعة الأفغان والباكستانيين المرتبطين بـ«فيلق القدس» التابع للحرس الثوري الإيراني، والمنضوين ضمن لواء فاطميون ولواء زينبيون، دخلوا إلى العراق بعد سقوط نظام بشار الأسد في ديسمبر ٢٠٢٤ عبر نقل جوي سريع ، ٤٨ ساعة ما بعد هروب بشار الاسد ، او عبر منفذ القائم الحدودي وهي منطقة يسيطر عليها قاسم مصلح، قائد اللواء ١٣ (لواء الطفوف) في الحشد الشعبي، الذي يتلقى أوامره من قيادة عمليات الجزيرة ، وتشير التقارير بأن عناصر فاطميون وزينبيون استُضيفوا أولاً في مجمعات بالقائم كانت تُستخدم سابقاً كنقاط عبور للصواريخ الباليستية الإيرانية والمعدات العسكرية المتجهة إلى سوريا ولبنان، قبل أن تُنقل مجموعات منهم إلى معسكر أشرف في محافظة ديالى، المعروف حالياً باسم معسكر الشهيد أبو منتظر المحمداوي، ويخضع المعسكر رسمياً لسلطة

الدولة العراقية ضمن منظومة الحشد الشعبي، لكنه يُدار فعلياً من قبل منظمة بدر المدعومة من إيران.

بالاضافة الى التقارير الغربية ، فقد اشارت الوكالات والشبكات الإعلامية – بما في ذلك ما نشرته "إيران إنترناشونال"، ووكالة شفق نيوز العراقية – التأكيد على انتقال عناصر من الفصيلين إلى القائم ثم إلى ديالى، مع الإشارة إلى أن وجودهم يتم بالتنسيق مع فصائل محلية ؛ في المقابل، نفى محافظ ديالى وجود عناصر من فاطميون وزينبيون داخل معسكر أشرف، ما يعكس تضارباً بين التقارير التحليلية الدولية والموقف المحلي الرسمي، ويضع المسألة ضمن إطار جدل معلوماتي وسياسي مفتوح ، خصوصا وان عملية الوصول او التحقق تبدو شبه مستحيلة وغير خاضعة في كثير من الأحيان لسلطة القائد العام للقوات المسلحة العراقية .

الجانب القانوني والسيادي ، يبدو المحور الأكثر حساسية ، إذ يطرح سؤالاً مباشراً حول الجهة التي منحت الموافقة على دخول هؤلاء المقاتلين إلى العراق وبقائهم فيه، فرئيس الوزراء، بصفته القائد العام للقوات المسلحة، هو الجهة الدستورية الوحيدة المخولة بمنح مثل هذه الموافقة ، مما يعزز فرضيتين لا ثالث لهما: الاولى، إما أن الحكومة العراقية وافقت رسمياً على استضافة هذه الفصائل ، وهو ما قد يُفسَّر كخرق دستوري ، والذي يمنع استخدام الاراضي العراقية من جماعات مسلحة اجنبية ؛ الفرضية الثانية تتمثل بان هذه الخطوات تمت دون علم أو موافقة رئيس الوزراء، ما يثير تساؤلات حول مستوى السيطرة الفعلية للحكومة على البيئة الأمنية والحدود.
في المقابل، يبقى الخطاب الرسمي للدولة العراقية مرتكزاً على مبدأ السيادة ووحدة القرار الأمني، مع تأكيد متكرر على أن أي نشاط داخل الأراضي العراقية يخضع للأطر القانونية والمؤسساتية للدولة ، وقد عكست تصريحات حكومية في العام ٢٠٢٤ – عقب سقوط نظام الأسد – مساراً إنكارياً واضحاً تجاه التقارير التي تحدثت عن انتقال ضباط سوريين سابقين أو ارتباطهم بمعسكر أشرف، في إشارة إلى حساسية سياسية عالية حيال أي سردية توحي بتحول العراق إلى ساحة إعادة تموضع إقليمي ، هذا الإنكار لا ينفي الجدل، لكنه يكشف حجم التوازن الدقيق الذي تحاول بغداد الحفاظ عليه بين خطاب السيادة ومتطلبات واقع أمني معقد تتداخل فيه فواعل محلية وإقليمية.

في المحصلة، لا تبدو المسألة مجرد إعادة استخدام لموقع عسكري، بل تجسيداً لتحول أعمق في مفهوم النفوذ الإقليمي ، فمعسكر أشرف، في صورته الراهنة، يمثل عقدة خلفية تُخزّن فيها القوة البشرية وتُدار عبر شبكة فصائلية محلية ضمن رؤية استراتيجية أوسع، دون أن يظهر كمقر رسمي لقوة خارجية ، هو انتقال كامل من رمز لمعارضة إيرانية إلى منصة احتياط إقليمي صامت، يجمع بين الرمزية السياسية والوظيفة العملياتية، ويعكس كيف يمكن للجغرافيا العسكرية في العراق أن تُعاد هندستها لتخدم معادلات نفوذ تتجاوز حدود الدولة الوطنية دون أن تُعلن ذلك بشكل رسمي.

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation Geneva

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

Avenue de
Cortenbergh 89
4th floor, 1000
Brussels
Belgium

www.grc.net